المحاضرة السادسة

نظريات الأسلوبية

مقدمة

على مر العصور، كانت اللغة جزءاً لا يتجزأ من هوية الإنسان، تتداخل مع أبعاده الثقافية، الاجتماعية، والفكرية، ولا تقف عند كونها مجرد وسيلة تواصل بل تتعدى ذلك لتصبح أداة تعبير عن الوجود الإنساني في أعماقه. يرى العلماء والمفكرون أن اللغة هي السمة الفريدة التي تميز الإنسان، فهي ليست مجرد وسيلة لتبادل الكلمات، بل هي قدرة فطرية تتيح له التفكير، التعبير، والإبداع، مما يمنحها مكانة أساسية بوصفها عنصراً محورياً في فهم الكينونة الإنسانية.

الإنسان في جوهره كائن ناطق، وهذا ما تميز به منذ عصور الفلاسفة القدماء الذين شددوا على أن اللغة ليست عارضة في حياة الإنسان، بل هي ميزة جوهرية ومكون رئيسي للوجود الإنساني. يقول الفيلسوف العربي "أبو الفتح الشهرستاني" أن "النفس الناطقة هي الإنسان من حيث الحقيقة"، مما يشير إلى أن تواجد الإنسان اللغوي ليس مجرد وسيلة مضافة، بل هو جزء من بنيته ووجوده. لا يخلو أي تعريف للإنسان في الفلسفة أو الأدب من التركيز على اللغة كحدّ يميزه، فهي العنصر الذي تنبثق منه الفوارق بين الإنسان وغيره من المخلوقات، وتعكس البنية الوجودية والفكرية له. لذا، فإن اللغة تصبح أداة وجودية، تُمكّن الإنسان من التعبير عن ذاته وتصوراته، وتمنحه القدرة على التفاعل مع محيطه.

اللغة ليست مجرد أداة للتواصل أو نقل المعلومات، بل تمثل جزءاً حياً من وجود الإنسان، وتسمح له ببلوغ معانٍ أعمق تعكس تجاربه الشخصية والفكرية. لهذا، تحتل اللغة مكانة بارزة في العلوم الإنسانية، التي تهتم بفهم الإنسان من جميع جوانبه، ما يجعلها محوراً أساسياً في فهم شخصية الإنسان وطبيعته.

ومع تطور العلوم الإنسانية وازدهارها، ازداد الاهتمام بالدراسات اللغوية والأسلوبية، التي ركزت على تحليل اللغة كوسيلة تعبير عن المشاعر والأفكار، واعتبرت أن الأسلوبية هي إحدى الأدوات الهامة لفهم الإنسان في سياقاته الثقافية والاجتماعية. فالدراسات الأسلوبية لم تعد مجرد اتجاه عابر أو اتجاه جزئي في الأدب أو اللسانيات، بل أصبحت علماً مستقلاً ومتكاملاً يحلل ويستخدم اللغة بشكلٍ يساعد في فهم عميق للإنسان وطرق تعبيره عن ذاته.

لذا، أصبح علم الأسلوبية فرعاً رئيسياً من فروع الدراسات الإنسانية، حيث يسعى هذا العلم إلى تحليل العلاقات بين الإنسان ولغته، وكيفية انعكاس لغته على مختلف جوانب حياته وثقافته، مما يعكس تحول الأسلوبية إلى عنصر أساسي في البحوث الإنسانية. إن علم الأسلوبية لا يعنى فقط بكون اللغة وسيلة للتواصل بل يدرس أبعاداً أعمق، فيحللها كأداة تعبير عن الذات وعن الواقع، ووسيلة لاستكشاف الهوية الإنسانية بأبعادها المختلفة.

I. فهم النظرية

تعتبر النظرية أحد الأركان الأساسية في البحث العلمي، فهي توفر إطاراً تفسيرياً يساعد على فهم الظواهر، وتساهم في توجيه الأبحاث وتحليلها، مما يجعلها عنصراً لا غنى عنه في العلوم بشكل عام.

1. تعريف النظرية لغةً واصطلاحاً

في اللغة، مشتقة كلمة "النظرية" من الفعل الثلاثي "نَظَرَ"، الذي يعني التأمل أثناء التفكير في شيء معين. أما اصطلاحاً، فالنظرية هي مجموعة من القواعد والمبادئ المستخدمة لوصف ظاهرة ما، سواء أكانت ظاهرة علمية، فلسفية، معرفية، أو حتى أدبية. النظرية قد تعمل على إثبات حقيقة معينة أو المساهمة في بناء أفكار جديدة، فهي تمثل دراسة معمقة لعناصر موضوع معين، بحيث تصل إلى مجموعة من الاستنتاجات المبنية على قواعد منطقية، تعمل على تعزيز الفكرة الرئيسية التي قامت عليها النظرية.

2. أهمية النظرية في البحث العلمي

النظرية تحمل أهمية كبيرة في البحث العلمي لأنها تعمل كإطار يحدد هوية العلوم ويوجه مسارات البحث فيها. فبناءً على النظرية يتحدد موضوع العلم وطبيعته، وتتنظم العمليات والأدوار والأهداف التي يهدف العلم إلى تحقيقها. يمكن القول إن النظرية تضع أساسات العلم التي يستند إليها في جميع جوانبه، ما يجعلها تختلف عن المنهج العلمي الذي يُعتبر خطوة تنفيذية في البحث. بدون النظرية لا يمكن للبحث العلمي أن يضع له هدفاً ولا رؤية واضحة تتيح له تفسير الظواهر بشكل منطقي ومنظم.

3. الفروق بين النظرية والمنهج العلمي

تختلف النظرية عن المنهج العلمي؛ فبينما تهتم النظرية بتحديد ما هو موضوع الدراسة وأهدافها ومفاهيمها الأساسية، فإن المنهج العلمي يُعنى بالخطوات العملية التي يتبعها الباحث للوصول إلى استنتاجاته. المنهج العلمي يمثل وسيلة لتحقيق الأهداف التي تحددها النظرية، ولذا فهو يستخدم إجراءات متنوعة وفقاً للظاهرة محل الدراسة. على سبيل المثال، نجد أن "الملاحظة" خطوة أساسية في كل بحث علمي، لكن تختلف أدواتها؛ ففي الكيمياء يستعين الباحث بميكروسكوب، بينما يستخدم الباحث في علم الاجتماع أدوات مثل دليل الملاحظة.

4. تعريف النظرية في الدراسات الإنسانية

في الدراسات الإنسانية، تُعدُّ النظرية مجموعة من الآراء والتصورات التي تحاول تفسير الوقائع العلمية أو الظنية، وهي تدرس العلاقة بين الشخص والموضوع أو بين السبب والنتيجة. ترتكز النظرية في هذه الدراسات على مجموعة من المفاهيم والتعريفات التي تقدم لنا رؤية منظمة لظاهرة ما، وتستند إلى تحديد العلاقات المختلفة بين المتغيرات التي تخص تلك الظاهرة، بحيث تتيح لنا هذه الرؤية تفسير الظاهرة وتوقعها في المستقبل.

وعليه، فإن النظرية تمثل إطاراً تفسيرياً ومعرفياً ضرورياً في جميع العلوم، وتختلف عن المنهج العلمي في كونها تحدد الأهداف الأساسية وموضوع الدراسة بينما يُعنى المنهج العلمي بتطبيق هذه الأهداف عملياً.

II. مقومات بناء النظرية

تتطلب النظرية العلمية إطاراً تنظيمياً متكاملاً يجعلها قابلة للتطبيق والفهم، ومن خلال المقومات الأساسية يتم بناء النظرية وتحديد توجهاتها وأهدافها.

1. **الإطار التصوري والمفاهيم الأساسية:** يتطلب بناء النظرية وجود إطار تصوري أو مجموعة من المفاهيم التي تساهم في بنائها وتقديم نظرة متكاملة لموضوعها حيث تشمل المفاهيم التي تشرح الظاهرة قيد الدراسة.
2. **القضايا وعلاقتها بالمتغيرات:** يجب أن تحتوي النظرية على مجموعة من القضايا التي تشرح العلاقة بين المتغيرات المتعلقة بموضوع الدراسة، ما يعزز الفهم العميق للعلاقات بين تلك المتغيرات.
3. **التسلسل الاستنباطي للقضايا:** التسلسل الاستنباطي للقضايا يعد مهماً في بناء النظرية، حيث تُبنى القضايا بطريقة تسلسلية تبدأ من مقدمات وتنتهي بنتائج، مما يخلق اتساقاً منطقياً يسمح باشتقاق كل قضية من القضية التي تسبقها.
4. **تفسير الوقائع وتعزيز قوة النظرية:** تزداد قوة النظرية كلما كانت قادرة على تفسير عدد أكبر من الوقائع، فالنظرية القوية هي التي تستطيع تقديم تفسير متكامل لمختلف الظواهر، ما يعزز من قوتها ومكانتها بين النظريات الأخرى.

وعليه، فإن بناء النظرية يحتاج إلى إطار شامل ومرتب يتضمن قضايا واضحة ومترابطة مع المتغيرات.

III. النظرية النفسية في علم الأسلوب

تمثل النظرية النفسية في علم الأسلوب أحد الاتجاهات الهامة التي تتعمق في فهم الأسلوب الأدبي من خلال منظور نفسي، حيث يُعَد الأسلوب تجسيداً لانعكاسات الحالة النفسية للكاتب. تعتبر النظرية النفسية أن اللغة ليست مجرد وسيلة تواصل محايدة، بل هي تعبير مباشر عن شخصية الكاتب وميوله النفسية، حيث تأخذ الكلمات والجمل أبعاداً نفسية تشير إلى أعماق الكاتب، وتبرز النوازع والأفكار التي قد تكون خفية لدى المؤلف، مما يجعل النظرية النفسية أداة قوية في تحليل الأسلوب وتأثير اللغة في التعبير عن الذات.

1. الأسلوب والنسيج اللغوي وعلاقته بشخصية الكاتب

ترتبط النظرية النفسية بالنسيج اللغوي للنص الأدبي بشكل مباشر، حيث تنظر إلى الأسلوب على أنه انعكاس دقيق لحالة الكاتب الداخلية، وشخصيته الفردية. في هذا السياق، تركز النظرية على تحليل مضمون الرسالة الأدبية وما يستخدمه الكاتب من تعابير ومفردات وأساليب لغوية، إذ إن الطريقة التي يعبر بها الكاتب عن مشاعره وأفكاره تعكس جزءاً من نفسيته وتوجهاته. فالاختيارات اللغوية التي يقررها الكاتب في نصه ليست عشوائية، بل تكشف عن طبيعته الخاصة ونظرته للعالم. من هنا، يعد الأسلوب في النظرية النفسية إطاراً تفاعلياً بين الكاتب ونصه، يكشف عن دوافعه، مشاعره، وتصوراته، ويُعتبر بمثابة توقيع نفسي خاص بالمؤلف يميزه عن غيره.

2. نظرية الأسلوبية النفسية ونظريات أسلوبية الكاتب الفرد

تُعرف هذه النظرية أيضاً بـ "أسلوبية الكاتب الفرد" أو "الأسلوبية التكوينية"، إذ تعتبر جسرًا يجمع بين دراسة اللغة من جهة ودراسة الأدب من جهة أخرى، وتُعدّ هذه النظرية بمثابة عملية استكشاف للذات من خلال الأسلوب. فهي تركز على الأسلوب الشخصي لكل كاتب، حيث يصبح الأسلوب هنا عنصراً يعبر عن القيم والميول الفردية التي يحملها الكاتب. تسعى النظرية النفسية إلى فهم الأسلوب كنتاج للأفكار النفسية لدى الكاتب، ويعتبر الأسلوب في هذا الإطار شكلاً من أشكال "التكوين النفسي"، الذي يعبر عن شخصية فريدة تنطبع على النصوص وتظهر من خلال اللغة والأفكار والأساليب التعبيرية التي يستخدمها المؤلف. من هنا، تشكل النظرية النفسية رؤية تكميلية للأدب واللغة، حيث تقدم سبيلاً لفهم العمل الأدبي من خلال تعميق الفهم لشخصية الكاتب وأبعاده النفسية.

3. مساهمات "ليو سبيتزر" في الأسلوبية النفسية

كان للناقد والفيلسوف الألماني "ليو سبيتزر" دور ريادي في تأسيس أسس النظرية النفسية في علم الأسلوب، حيث طوّر هذا الاتجاه من مستوى النقد الأدبي التقليدي إلى مستوى يقترب من التفسير الروحاني للنصوص، إذ يرى أن روح المؤلف تتجلى في اللغة التي يستخدمها. اهتم سبيتزر بتحليل النصوص بأسلوب يمزج بين التحليل النفسي واللغوي، وقد اعتبر أن الأسلوب يعكس "حضور المؤلف" في النص، مشيراً إلى أن الكلمات والتعابير تحمل طابعاً نفسياً عميقاً يعبر عن روح الكاتب. يُعرف نهج سبيتزر بالمزج بين الانطباعية والذاتية في التحليل، حيث يركز على فهم التفاعل بين نفسية المؤلف وأساليبه اللغوية، ويمثل هذا النهج "أسلوبية الكاتب" أو "الأسلوبية النفسية"، التي تتعامل مع النص الأدبي كامتداد نفسي للكاتب ذاته.

4. أسس النظرية النفسية (النص، شخصية المؤلف، التعاطف مع النص، التحليل الأسلوبي)

تقوم النظرية النفسية على مجموعة من الأسس التي توضح آلية التحليل النفسي للنص الأدبي، وتشمل:

- **الانطلاق من النص ذاته:** يبدأ التحليل الأسلوبي من النص لفهم معانيه وأبعاده، ويعتبر النص نقطة الانطلاق لفهم الأسلوب وما يعكسه من نفسية الكاتب.
- **كشف شخصية المؤلف:** النص الأدبي يُعتبر نافذة تعكس شخصية الكاتب وميوله النفسية، فالأسلوبية النفسية ترى في النص الأدبي وسيلة لفهم المؤلف بعمق.
- **التعاطف مع النص:** يسعى المحلل الأسلوبي للدخول في عالم النص ورؤية العالم من منظور المؤلف، مما يسمح له بفهم دلالات أعمق للغة والأسلوب.
- **إقامة التحليل الأسلوبي على التحليل اللغوي للنص الأدبي:** يُنظر إلى النص ككلٍّ متكامل، وتُدرس التراكيب والمفردات والجمل بشكل منهجي يظهر الأسلوب الخاص بالكاتب.
- **التفريغ الأسلوبي الفردي:** الأسلوب يُعتبر تعبيراً فردياً ومميزاً لكل كاتب، يعكس ميول الكاتب وطابعه الخاص.

IV. النظرية الإحصائية

في إطار السعي لتحقيق الموضوعية والابتعاد عن التفسيرات الذاتية، ظهر الاتجاه الإحصائي في علم الأسلوب، والذي يقوم على تحليل البيانات اللغوية بطرق كمية تتيح دراسة الأسلوب بطرق علمية دقيقة. وتهدف النظرية الإحصائية إلى بناء أسس موضوعية لدراسة النصوص الأدبية من خلال قياس تكرار الكلمات والصيغ والجمل، مما يسمح بإجراء مقارنة علمية بين النصوص ويزيل الحيز الذاتي في التحليل الأسلوبي.

1. علم الأسلوبية الإحصائي وموضوعيته في البحث

تسعى النظرية الإحصائية إلى تقديم طريقة موضوعية لتحليل النصوص الأدبية، إذ تعتمد على جمع البيانات اللغوية وتحليلها باستخدام أساليب كمية. هذه المقاربة تبتعد عن التقديرات الشخصية أو التفسيرات القائمة على الحدس، وتقوم على استخدام القيم العددية والبيانات الرقمية لتقديم تصور موضوعي عن الأسلوب الأدبي. من خلال التركيز على الجانب الكمي للغة، يمكن للنظرية الإحصائية تحديد الطابع الأسلوبي لنصوص معينة بشكل دقيق وموثوق. فبدلاً من التفسيرات الانطباعية، تتيح هذه المقاربة بناء قاعدة بيانات موضوعية تمكن الباحثين من المقارنة بين الأساليب المختلفة والنصوص المتنوعة.

2. دور الإحصاء في دراسة الأسلوب (حساب الصيغ والمفردات)

أحد الجوانب الرئيسية التي تركز عليها النظرية الإحصائية هو حساب تكرار الصيغ والمفردات المتكررة في النصوص، حيث تعتبر هذه العناصر اللغوية بمثابة مؤشرات تساعد في تحديد الطابع الأسلوبي للنص. يقوم الباحث بإحصاء تكرار المفردات والصيغ التي يستخدمها الكاتب، مما يساعد في تحديد الخصائص اللغوية المميزة له. على سبيل المثال، يمكن للباحث أن يقيس مدى تكرار الأفعال مقابل الصفات، أو عدد الجمل البسيطة مقابل المركبة، مما يسمح بتحديد النمط اللغوي الذي يتبعه الكاتب. هذا النوع من التحليل يضيف بُعداً علمياً للبحث، حيث يمكن من خلاله استخراج بيانات دقيقة تتعلق بالأسلوب الأدبي بعيداً عن أي تحيز شخصي. وبالتالي، يتيح الأسلوب الإحصائي بناء نظرة موضوعية وممنهجة حول النصوص الأدبية.

3. إسهامات "جان كوهين" في الجمع بين الأسلوبية والإحصاء

كان الباحث "جان كوهين" من الأوائل الذين سعوا لدمج الأسلوبية بالإحصاء، حيث قدم تصوراً جديداً للأسلوبية يعتمد على تحليل الانزياحات اللغوية باستخدام الأساليب الإحصائية. وقد اعتبر كوهين أن الأسلوبية تمثل "علم الانزياحات"، وهو مصطلح يقصد به دراسة الفروقات بين اللغة الشعرية واللغة النثرية، وذلك عبر قياس الانزياحات اللغوية باستخدام التحليل الكمي. في نظر كوهين، يمكن تطبيق الإحصاء لتحديد الخصائص الشعرية للنصوص عن طريق قياس متوسط تكرار الانزياحات، مما يسمح بتحديد مدى تفرد اللغة الشعرية مقارنة بالنثر. إن مساهمات كوهين في الجمع بين الأسلوبية والإحصاء فتحت آفاقاً جديدة، حيث أصبح من الممكن قياس الواقعة الشعرية ووصفها بوصف دقيق، مما يجعل الأسلوبية الإحصائية أداة قوية في دراسة النصوص الأدبية.

V. نظرية الأفعال والصفات

في إطار السعي لتمييز الأساليب الأدبية عن الأساليب العلمية، ظهرت نظرية الأفعال والصفات كأداة تحليلية تهدف إلى قياس الفروق الأسلوبية عبر دراسة أنماط استخدام الأفعال والصفات في النصوص المختلفة. هذه النظرية تساعد في تحديد الطابع الأدبي للنص من خلال تحليل لغوي يعتمد على تكرار الأفعال والصفات كمعيار لتمييز الأسلوب، مما يضيف بُعداً كمياً موضوعياً للتفرقة بين النصوص الأدبية والعلمية.

1. تعريف النظرية وأسسها عند العالم الألماني "بوزيمان"

طرح العالم الألماني "بوزيمان" نظريته في أوائل القرن العشرين، مقدماً أسساً جديدة لدراسة الأسلوب من خلال حساب نسبة تكرار الأفعال إلى الصفات في النصوص. ترتكز هذه النظرية على فرضية أساسية وهي أن الأسلوب الأدبي يميل إلى استخدام الأفعال بشكل متكرر للتعبير عن الأحداث والحركة والديناميكية، بينما يعتمد الأسلوب العلمي على الصفات لتوصيف الظواهر بدقة وموضوعية. ووفقاً لهذه النظرية، يمكن استخدام معادلة بسيطة لتحديد الطابع الأسلوبي للنص، بحيث كلما زادت نسبة الأفعال مقارنة بالصفات كان النص أقرب إلى الأسلوب الأدبي، وكلما انخفضت كان النص أقرب إلى الأسلوب العلمي. ويعتبر هذا التحديد وسيلة قياسية تسمح للباحث بتقييم الأسلوب الأدبي أو العلمي للنصوص بطريقة إحصائية تعتمد على التركيب اللغوي.

2. مبدأ التعبير بالحدث مقابل التعبير بالوصف

تقوم النظرية على مبدأين رئيسيين هما: التعبير عن الحدث والتعبير عن الوصف، وهذان المبدآن يمثلان مفتاح فهم النظرية. التعبير عن الحدث يتجسد في استخدام الأفعال، حيث يعبر الكاتب عن الحركة، التفاعل، والتغيير من خلال الأفعال، مما يضيف طابعاً حيوياً للنص. على الجانب الآخر، يأتي التعبير عن الوصف من خلال استخدام الصفات، حيث تركز هذه الأخيرة على توضيح وتفصيل صفات معينة ترتبط بالأشياء أو الأشخاص، مما يعزز من موضوعية النص العلمي. يرى "بوزيمان" أن النصوص الأدبية تميل لاستخدام الأفعال لأنها تعبر عن تجربة حية وديناميكية، بينما يلجأ النص العلمي إلى الصفات لتقديم معلومات ثابتة ودقيقة، مما يعكس مبدأ العلمية والموضوعية في السرد والوصف.

3. نقد النظرية وصعوبات تطبيقها على النصوص الأدبية العربية

على الرغم من أهمية نظرية الأفعال والصفات في دراسة الأسلوب، إلا أنها تعرضت للعديد من الانتقادات، خاصة عند محاولة تطبيقها على النصوص الأدبية العربية. يعود ذلك لاختلافات جوهرية بين البنية النحوية للغة العربية ولغات أخرى مثل الألمانية، حيث يعتمد الأدب العربي على توظيف الصفات بطريقة معقدة ودقيقة تعبر عن المعاني بشكل غير مباشر. ففي الأدب العربي، تحمل الصفات دلالات جمالية وثقافية قد يصعب قياسها بنفس الطريقة المستخدمة في اللغات الأوروبية. كما أن التراث الأدبي العربي يعتمد على أساليب لغوية غنية بالتشبيهات والاستعارات، مما يجعل تقويم النصوص العربية باستخدام هذه النظرية أمراً معقداً.

بالإضافة إلى ذلك، يعتمد الأدب العربي على البديعيات اللفظية والمعاني المتعددة للصفات والأفعال، وهو ما يضفي طابعاً مختلفاً للنصوص، يجعل من الصعب تطبيق النظرية بشكل مباشر.

وعليه، فإن نظرية الأفعال والصفات تقدم منهجاً مفيداً لفهم التوجهات الأسلوبية، ولكن تطبيقها يحتاج إلى تعديل يناسب الخصائص اللغوية والثقافية لكل لغة، مما يجعلها قابلة للتكيف مع السياقات اللغوية المختلفة، وخصوصاً اللغة العربية.

VI. خطوات الإحصاء الأسلوبي

تسعى الأسلوبية الإحصائية إلى تقديم تحليل كمي موضوعي للنصوص، من خلال مجموعة من الخطوات المنهجية التي تجعل التحليل الأدبي أكثر دقة وابتعاداً عن التفسيرات الذاتية. تتيح هذه الخطوات للباحثين فهماً أعمق للنصوص من خلال النظر إلى تكرار المفردات، الصيغ، وأنماط الجمل، ما يسهم في بناء رؤية علمية للأسلوب الأدبي تتيح المقارنة بين النصوص واستخلاص ملامحها الأسلوبية.

1. **التشخيص الأسلوبي:** التشخيص الأسلوبي يمثل المرحلة الأولى في التحليل الإحصائي للنصوص، ويهدف إلى الكشف عن الهوية الأسلوبية للنص. يعتمد التشخيص على دراسة المؤشرات الأسلوبية التي يتميز بها الكاتب، مثل تكرار بعض المفردات، بنية الجمل، واستخدام الصيغ اللغوية المختلفة. هذه المرحلة تعدّ أساساً للتحليل الأسلوبي لأنها تتيح تحديد خصائص الأسلوب بطريقة منهجية وعلمية، وتعمل كخطوة تأسيسية تساعد في توجيه الخطوات التالية في التحليل الإحصائي.
2. **تحديد المتغيرات الأسلوبية:** في هذه المرحلة، يتم تحديد المتغيرات الأسلوبية الرئيسية التي تعبر عن طابع الكاتب في النص، مثل كثافة الجمل أو العبارات المستخدمة. تشمل المتغيرات الأسلوبية الخصائص اللغوية التي يمكن قياسها، مثل طول الجملة، نوعها (سواء كانت فعلية أو اسمية)، ونوع المفردات المستخدمة. تحديد المتغيرات يسهم في بناء قاعدة بيانات أسلوبية واضحة للنص، ويتيح للباحث التركيز على جوانب معينة من الأسلوب قد تكون محورية في فهم طابع النص.
3. **قياس كثافة المتغيرات الأسلوبية:** تعتمد هذه الخطوة على حساب كثافة المتغيرات الأسلوبية في النصوص، ويتم ذلك من خلال قياس عدد الجمل أو المفردات المتعلقة بالمتغير قيد الدراسة. على سبيل المثال، يمكن للباحث حساب نسبة تكرار الأفعال مقابل الصفات، أو نسبة الجمل المركبة مقابل البسيطة. يساعد هذا القياس في توفير فهم كمي لخصائص النص، ويتيح بناء تصورات دقيقة عن أسلوب الكاتب بشكل يعتمد على الأرقام والإحصائيات.
4. **قياس البنية بين متغيرين أسلوبيين:** في هذه الخطوة، يتم تحليل العلاقة بين متغيرين أسلوبيين لتحديد كيفية تفاعلها في النص. يتم ذلك عبر إيجاد النسبة بين تكرار كل متغير، مثل حساب العلاقة بين الأفعال والصفات في النص. يتيح هذا التحليل فهم الديناميكيات الأسلوبية في النص وتحديد الأنماط التي قد تكون

مرتبطة بتوجهات الكاتب أو طابعه الأدبي. توفر هذه الخطوة بُعداً جديداً لفهم كيفية تركيب النصوص بناءً على تحليل مكونات الأسلوب المختلفة.

5. **قياس النزعة المركزية والتشتت والتوزيع الاحتمالي للمتغيرات:** تعتبر هذه الأدوات أساساً لتحليل الفروق بين النصوص، حيث تُستخدم لقياس مدى تكرار المتغيرات وانتشارها داخل النص. تُعنى النزعة المركزية بتحديد القيمة الأكثر تكراراً، فيما يوضح التشتت مدى انتشار المتغيرات حول النزعة المركزية، ويوضح التوزيع الاحتمالي كيفية توزيع المتغيرات في النص أو عبر نصوص متعددة. تساهم هذه الأدوات في بناء تصور كمي دقيق حول تباين الأسلوب في النصوص المشابهة ما يساعد في تمييز النصوص عن بعضها البعض.

6 .**قياس معامل الارتباط بين المتغيرات:** يقوم قياس معامل الارتباط على تحليل العلاقة بين المتغيرات الأسلوبية في النص، حيث يتم تحديد مدى الترابط بين جمل النص من حيث طولها، أو استخدام الجمل البسيطة مقابل المركبة، وكيفية تأثير بعضها على البعض الآخر. تتيح هذه الخطوة دراسة التفاعل الداخلي بين عناصر النص، مما يبرز درجة اتساق الأسلوب ومدى توافقه مع طابع النص العام. يعزز قياس الارتباط من إمكانية فهم تكامل المتغيرات الأسلوبية وتحديد أسلوب الكاتب بشكل أدق.

وعليه، فإن خطوات الإحصاء الأسلوبي تقدم إطاراً شاملاً للتحليل الكمي، مما يزيد من دقة الدراسة ويقلل من التحيز، كما تتيح للباحثين بناء رؤية علمية عميقة لأساليب النصوص، وتقدم فهماً أكثر دقة وشمولية للخصائص الأسلوبية.

VII. الأسلوبية الإحصائية في النقد العربي المعاصر

شهد النقد الأدبي العربي تحولاً كبيراً نحو استخدام الأساليب الكمية والإحصائية، وذلك كوسيلة لجعل الدراسة الأدبية أكثر موضوعية ودقة. ففي ظل تطور العلوم الإنسانية، ظهرت الحاجة لتطبيق أدوات إحصائية تساعد على تقييم الأساليب الأدبية والنصوص بمنهجية علمية، وهو ما أضاف بُعداً علمياً جديداً للنقد الأدبي العربي، حيث أصبحت قادرة على تمييز الفروق الأسلوبية وتحليل النصوص بأسلوب علمي غير منحاز.

1. تطبيقات الإحصاء الكمي في النقد العربي

اعتمد العديد من النقاد العرب البارزين، مثل "محمد العمري" و"إبراهيم أنيس"، على الأسلوب الإحصائي في دراستهم للأدب العربي. لقد مكّن التحليل الإحصائي النقاد من تقديم رؤى موضوعية مبنية على بيانات كمية، بعيداً عن التفسيرات الذاتية والانطباعية. استخدم "العمري" التحليل الإحصائي لفهم بنية النصوص الشعرية العربية وتحديد الخصائص التي تميز الأسلوب الشعري، بينما ركز "إبراهيم أنيس" على دراسة التكرار الصوتي في القرآن الكريم، معتمداً على إحصاء الأصوات ودراسة بحور الشعر العربي كوسيلة لتحديد الأسلوب اللغوي ونمط الصوتيات التي تميز الأدب العربي. أتاح هذا النهج للنقاد العرب إجراء تحليلات دقيقة للنصوص اللغوية، مما ساهم في جعل النقد الأدبي أكثر علمية ومنهجية.

2. أمثلة من أعمال "محمد العمري" و"إبراهيم أنيس"

لعب "محمد العمري" دوراً هاماً في إدخال التحليل الكمي للأسلوب في الدراسات الشعرية، حيث اهتم بدراسة البنية الصوتية للنصوص العربية، وركز على تحليل تكرار المفردات والأصوات في النصوص الشعرية للوصول إلى ملامح الأسلوبية الخاصة بكل شاعر. باستخدامه التحليل الإحصائي، تمكن العمري من الكشف عن السمات الأسلوبية المميزة، مثل تكرار الحروف والكلمات التي تشكل بُعداً موسيقياً في النص الشعري.

أما "إبراهيم أنيس"، فقد استخدم المنهج الإحصائي لدراسة الأصوات في القرآن الكريم، حيث أجرى إحصاءات دقيقة لتكرار الأصوات والأوزان الشعرية في الأدب العربي. وقد أظهر هذا المنهج مدى الانسجام الصوتي في النصوص الدينية والأدبية، مما يساهم في فهم عميق للبنية اللغوية والشعرية في الأدب العربي، وقد استخدم أنيس هذه النتائج لإبراز جماليات اللغة العربية وبنيتها الفريدة.

3. آراء النقاد مثل "عبد المالك مرتاض" و"جون كوهين" في أهمية المنهج الإحصائي

يعتبر "عبد المالك مرتاض" من أبرز المدافعين عن استخدام التحليل الإحصائي في الدراسات الأدبية، حيث يرى أن التحليل الكمي يمكنه الكشف عن "المعجم اللغوي" الخاص بالكاتب، والذي يعكس أسلوبه الفريد وميوله اللغوية. يؤكد مرتاض أن الإحصاء ليس مجرد أداة قياس، بل هو وسيلة لفهم "البصمة اللغوية" للكاتب وإبراز خصائصه الأسلوبية بطريقة علمية.

أما "جون كوهين"، فقد قدم إسهامات هامة في الجمع بين الأسلوبية والإحصاء، حيث أشار إلى أن تطبيق الإحصاء على الأسلوبية يجعلها قابلة للقياس والتقييم. يعتقد كوهين أن الأسلوبية، بصفتها علماً يهتم بدراسة "الانزياحات اللغوية"، يمكن أن تستفيد من التحليل الإحصائي في قياس الفروق بين اللغة الشعرية والنثرية، مما يتيح تحويل الظواهر الأسلوبية إلى بيانات قابلة للقياس والتفسير. يرى كوهين أن الأسلوبية الإحصائية يمكنها تقديم أدلة كمية على "الواقعة الشعرية" وتمييز اللغة الأدبية عن اللغة العادية، مما يجعل التحليل الأدبي أكثر دقة وتكاملاً.

وعليه، فإن الأسلوبية الإحصائية تضيف بُعداً موضوعياً هاماً في النقد العربي المعاصر، حيث تمكّن النقاد من استخدام أساليب علمية تساعد في تحليل النصوص الأدبية بشكل منهجي وعلمي. تسهم هذه المنهجية في تطوير الدراسات الأدبية وإعطائها طابعاً علمياً، وتسمح بالنظر إلى الأدب العربي بمنظور جديد يمكن من خلاله تقديم تحليلات دقيقة وموضوعية تعزز من فهم النصوص الأدبية وتقدير خصائصها الأسلوبية الفريدة.

VIII. الخلاصة

تعدّ الأسلوبية مجالاً حيوياً في الدراسات الإنسانية، حيث تكشف عن عمق العلاقة بين اللغة والإنسان. لقد أظهرت النظريات الأسلوبية، سواء من المنظور النفسي أو الإحصائي، أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي تعبيرٌ عن الهوية والأبعاد النفسية والثقافية للإنسان. من خلال تحليل الأسلوب، نستطيع الاقتراب من فهم الشخصية الأدبية والثقافية للكاتب، كما تساعدنا الأسلوبية الإحصائية على تقديم قراءة موضوعية ودقيقة للنصوص، تجعل من النقد الأدبي علماً قائماً على أسس كمية قابلة للقياس.

شهد النقد العربي تطوراً لافتاً في تبني هذه المناهج، مما أضاف بُعداً علمياً إلى الدراسات الأدبية وجعلها أكثر عمقاً وموضوعية. إن الجمع بين الأسلوبية النفسية والإحصائية يعزز من قدرة الباحثين على استكشاف المعاني الخفية في النصوص، ويثري النقد الأدبي بمنهجيات تتسم بالدقة والابتعاد عن الذاتية.

وبذلك، تقدم الأسلوبية إطاراً علمياً يمكن من خلاله دراسة النصوص بعمق وموضوعية، مما يعزز فهمنا للأدب ويمنحه أبعاداً تفسيرية جديدة، تساهم في إبراز جماليات اللغة وخصائص الأسلوب عبر العصور والثقافات المختلفة.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1) إبراهيم أبراش، النظرية السياسية بين التجريد والممارسة، دار الجندي، القدس، فلسطين، ط1، 2012.
2) إبراهيم أنيس، الأصوات العربية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، مصر.
3) أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، المجلد 5، العدد 1، 1984.
4) أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
5) أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية: دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط 1، 2002.
6) جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد العمري ومحمد الوالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، 1986.
7) حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2002.
8) سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 3، 2002.
9) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 1993.
10) عبد الرزاق الديلمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية، الأردن، ط1، 2016.
11) عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
12) عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980.
13) محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري في البنية الصوتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
14) موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.
15) يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007.